العيد في تعز
تراجع الموروث وسطوة قيم العصر

تعز / المؤتمر نت:

الاحتفاء بعيد الأضحى المبارك في محافظة تعز يتميز عن غيره من المناسبات الدينية، فهو العيد الكبير كما هو الحال في ثقافة المجتمع اليمني كله، وقد كانت العادات والتقاليد الممارسة إلى وقت قريب في الريف والمدينة بدرجة أقل تجعل من عيد الأضحى كمناسبة ميلاد جديد لكل فرد وفي ظل المتغيرات المختلفة زحفت عادات وقيم عصرية غدتْ النزعة الاستهلاكية لدى الناس، فكان ذلك على حساب أمور جوهرية يراها البعض تراجعت بشكل كبير وبموزات ذلك أصبح العيد يقترن لدى البعض بالتباهي والتفاخر.

فكيف ينظر الناس إلى ما كان وما هو كائن في ضوء ما لمسوه خلال الاستعداد لعيد الأضحى المبارك في محافظة تعز؟

العيد في الريف

الشيخ عبده حسن يتحدث عن العيد في القرى:

كان الناس يعيشون حياة بسيطة والمستوى المعيشي بسيط لكنهم كانوا ينتظرون العيد وكأنه ينبع من نور يغتسلون فيه روحاً وجسداً ويتطهرون من التعب وأدران ما قد يعتور العلاقات الإنسانية والأسرية قبل مجيء العيد، عملاً للسنة النبوية والمثل التي توجت قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل، وهي القصة الواجب تمثلها وهضمها إلى جنب مقاصد فريضة الحج في ضوء هذا كان الناس البسطاء في القرى يمارسون حياتهم الثقافية الحقيقية النابعة والراسية في أحضان الدين الإسلامي الحنيف وما ارتبط فيه من موروث فني وإبداعي أصيل، فالتقاء أبناء القرية الواحدة أسر وعائلات، ثم تجمع أبناء عدد من القرى لأداء الصلاة صباح العيد في مكان واسع وعقب صلاة العيد ينتظمون في حلقة يحيطها الفرح والمسرة والشعور بالتصافي والتسامح وتجديد طاقة المودة من خلال التصافح وتبادل التهاني بالعيد السعيد، ثم بعد التفرق والقيام بالذبح (الأضاحي).. كانت لقاءات ما بعد ذلك تنشط الجوانب الوجدانية والروحية وعلى فرح يومي على مدى عشرة أيام عيد الأضحى المبارك، فهو العيد الكبير في ثقافة كل أبناء اليمن وليس أبناء قرى محافظة تعز، لكن هذه الممارسات تراجعت وحلت ممارسات جديدة.

مناسبات رائعة

لقاءات المقيل كانت إلى ما قبل عشرين سنة حسب ما يقول الحاج قاسم حيدر في قرى ومديريات تعز الريفية، كانت قصيرة بحساب الزمن لكنها طويلة بمقاييس روعة المناسبة وما تشهده حالة الناس من تبدل يدوم لفترة لا بأس بها، فكل شخص يقتصر ذاكرته لتتضوع عبيراً ليمتزج بجو النكتة والدعابة، وتلاقح حكمة كبار السن وخبرتهم مع أحلام الشباب بأن يكون المستقبل أفضل على كافة الصعد.

وظيفة اجتماعية

ويقول الحاج قاسم: كان الناس قليلون جداً ولم تكن هناك شراهة لتناول القات والشباب منهم والأريحيون يتسابقون إلى مكان التجمع لانطلاق مواكب البرع في كل قرية كبيرة تجذب إليها أبناء القرى الصغيرة القريبة بعد صلاة العصر، يبدأ الطبل وعلى مدى ساعتين يتوافد الناس وينطلقون قبل المغرب بنصف ساعة إلى الملتقى الجامع لأبناء القرى والعزل المتقاربة بالزامل وأصوات الطبول والبرع فينغمر المكان بمسيرة عيدية جماعية تتلاشى في إطارها كل ما كان يعكر صفو الحياة، أو يضعف العلاقات الإنسانية لسبب ما كالخلافات على الماء والمرعى، أو ما شابه؛ حيث ينصهر الجميع في حالة البهجة العيدية ثم تعود كل جماعة من حيث أتت مثقلة بالمعاني الجميلة والرائعة.

ما مضى جميل

عبدالناصر اليوسفي ـ رئيس تحرير صحيفة "صوت جامعة تعز" – عبر عن رأيه في جانب مما طرأ وبدأ حديثه قائلاً: في قريتنا والقرى المجاورة كانت لقاءات الجاميع في مكان واحد من المغرب حتى الساعة الثامنة مساءً وخلال هذا الوقت يكون البرع واللقاءات الجانبية كل يهنئ أهله وأحبائه ويلتقي مئات الأشخاص في مكان واحد على مدى أيام العيد، فمن المؤكد أن كل واحد يتاح له أن يجدد علاقته بكل واحد من القرى المتقاربة ومنهم أولئك الذين كانوا في الغربة أو المدن أو لا يمكن لك لقاؤهم خلال أيام العام إلا في العيد.

ليالي مقمرة

ويقول عبدالناصر: كان تناول القات لوقت وجيز، ثم يمارسوا طقوس الفرح في مكان عام وما لا أنساه هو التصادف العجيب لهذه العادة في الغروب إلى الليل، فليالي عيد الأضحى مقمرة على مدى العشرة الأيام، وفي بداية المساء يزداد القمر عطاءً في الأيام الأولى من العيد، مما يجسد صوراً رائعة لتجمع الناس وكأن عناق القلوب الصافية يحتاج إلى ضوء قمر فقط.. في ضوء القمر والإطمئنان الاقتصادي بالقليل مما يملك الأفراد والأسر كان الفرح فياضاً والأمان موجود بحيث أن كل إنسان يطوي صفحة الهموم تلقائياً.

تنافس

وقال عبدالناصر في هذه اللقاءات كنتُ دوماً اتساءل: هل سيبقى وجه الريف بريئاً إلى ما شاء الله، خصوصاً وأني مثل كثير من الشباب نعيش أيام المدرسة في المدينة، وغيرنا ممن يكبرون مغتربون والكل يتحسب لأي ظرف قد تمنعه من قضاء العيد في قريته ومشاهدة ما يمكن أن نسميه أمر غريب في مثل هذه الساءات العيدية كالقنص أو النشن في ضوء القمر؛ حيث كان البعض يتنافسون في إثبات جدارتهم في الرماية ودقة التصويب عن بعد بالبنادق "الجرمن" أو "التشيكي"، ثم "الكلاشنكوف"، فكان البعض يحرص على إصابة الهدف اللامع عن بعد (٢٠٠-٣٠٠-٤٠٠) متر، ويحكى الآخرون عنه في السمرة، ولا شك أن الجيل الذي بعدنا لم يُربى على ثقافة أصيلة وقد أسهم في حرمان نفسه من تلك الأجواء الرائعة، أو أن ما طرأ على المجتمع في المدن وصل الأرياف بفعل التطور في المواصلات ووسائل الإعلام وثقافة العصر، فتلاشت عادات وممارسات حميدة ورائعة اعتقد أن في نفوس الكثيرين حسرة على غيابها.. ففي بعض المناطق خسرنا ثقافة تكونت من مئات أو ربما بعض صورها من آلاف السنين، فكل إنسان الآن له إطار محدود يمارس فيه عادات خاصة وإطار العلاقات أصبح ضيق حتى بعد صلاة العيد أصبح المصلون يفرون ويتسابقون على الطريق في الحاضر.

تراجع الموروث

كثيرون باتوا يلمسون اختفاء المظاهر الاجتماعية الموروثة للعيد ذات الصلة بحالة الترقب والاستعداد الجماعي في إحياء المدن من هؤلاء أحمد الزواحي، الذي يقول: العيد في أيامنا هذه يختلف في أشياء، منها ذلك التشوق والترحيب، فقد كان الصغار والكبار يبهجون لمقدم العيد قبل شهراً ونصف شهر، فالكل يتجهز بالكسوة ولوازم المناسبة، ويذهب بها إلى أقرانه ليريه ما لديه وربما يس..... ..... العيد لا ينام الأطفال ذكوراً وإناثاً الجميع في نشوة بانتضار فجر العيد، فالشباب والشابات يتجمعون في أحياء مدينة تعز، وحتى الأطفال لم يكن هناك موانع وتزمت يمنع لقاءات هؤلاء وتجمعهم كل مجموعة في بيت لتبادل الأحاديث عن العيد ولعب الغماية وغيرها مما يلعبونه طول أيام العيد، إلى جانب الخروج إلى المعايدة صباح العيد، والتنزه؛ حيث توجد المياه والخضرة ومن يملك سيارة يقوم برحلة ومعه مجموعة من أبناء حارته.

علاقات أصيلة

وقال أحمد: عندما حصلت طفرة بمقاييس اليمنيين وجرت الفلوس في أيديهم في السنوات الأخيرة تبدلت أشياء كثيرة، وبات التباهي والتفاخر سيد الموقف وأصبح الأمر وكأن هناك تراخي في العلاقات الأصيلة التي كنا نلمسها في المناسبات الدينية، فالعامل الاقتصادي غير كثير من المواقف والأخلاقيات، فالآن أنا كأب بالكاد وفرت كبش العيد وكسوت الأطفال، وهناك سلسلة مطالب يصعب على كثير من الناس توفيرها.. ووجود الحدائق والمتنزهات يجتذب الأسر والأطفال للهو بالآلات واللعب على حساب أشياء كثيرة كانت قديماً تنمي في الأبناء، ما يعكس القيم والأخلاقيات التي شرع العيد من أجلها، وكذلك أهداف السلوكيات والألعاب الشعبية الموروثة بتقنياتها البسيطة لم تعد كما كانت لأن روح العصر وطابعه المادي هو المسيطر وكان الأحرى أن يعمل الجيل القديم على غرس العادات والتقاليد التي ضعفت لأنها جزء من تاريخنا والواجب احترامه، فحين نؤسس شيء حميد في عقول ونفوس الأبناء تبقى خالدة ومعيناً للبهجة في كل وقت وليس الأعياد والمناسبات فقط.

القوة الشرائية

في ظل حياة العصر أصبحت القوة الشرائية هي المحدد الرئيسي لأحاديث الأفراد والأسر طيلة الأيام التي تسبق العيد، فهناك أناس منقطعون عن أهلهم في القرى من سنوات كبلتهم حياة المدينة، فلم يستطيعوا زيارة الأهل، نظراً لارتفاع تكاليف المعيشة، ومتطلبات المناسبة والأهل لهم ظروفهم فلا يزورون أقاربهم في المدن إلا في إطار زيارة عمل أو عيادة طبيب.. هكذا يقول صالح عبدالله الريمي، وبالتالي فهو مجبر أن يقضي أيام العيد في تعز، خصوصاً وأن القرية لم تعد معطاءة كما كانت، إذْ يقول: إذا سافرت إلى القرية فلابد أن أوفر أكثر من مطالب العيد هنا فلن أجد أضحية ولا قات ولهذا سأرسل أبني بعد العيد لأداء الواجب.

حالة الأسواق

لكن مدينة تعز لا تضم الفقراء وحدهم فأسواق المدينة شهدت خلال الأيام والأسابيع الأخيرة إقبالاً ملحوظاً ومتزايداً على شراء متطلبات العيد وحاجياته من ملابس وحلويات ومكسرات، إلى جانب الإقبال الكبير على شراء الأضاحي.. وكان الملفت حقاً لبعض ربات البيوت إقدام النساء على شراء الذهب رغم ارتفاع أسعاره.. تقول أم حسام (مدرسة) كان التباهي بالملابس هو المعروف، وهذا متاح للجميع كباراً وصغاراً ونساء ورجالاً، لأن السلع في السوق متوفرة للكل الهم هو المال والذوق، فعلى قدر ما تملك تجد ما تشتريه لكسوة افراد الأسرة والصدقة على المحتاج، لكن هناك موجة تباهي بالذهب وإقبال على شرائه، فالذهب أصبح موضة ومن يملكن المال يشترين بدلاً من زوج أقراط (وزغ) ثلاثة أزواج ويلبس هذه الأقراط في نفس الوقت.. وتضيف أم حسام: حقاً لا يملك الإنسان العاقل إلا أن يقول "لا حول ولاقوة إلا بالله" فأي موضة تجعل المراة تثقب أذنها ثلاثة ثقوب لتلبس الحلق بهذا الشكل إلى جانب مسوغات أخرى.

إسراف وتفاخر

بعض كبار السن من النساء يأسفن للعادات الاستهلاكية التي تتجاوز الحد في الأعياء، وسوء تصرف النساء، ومنهم متعلمات أو من أسر فاصلة، لكنها تفرق الأموال على الفتيات لمتابعة الموضة من ذهب وملابس مرتفعة تبدل بعض العادات والتقاليد وحلول سلوكيات دخلية أو أن أغراضها دخيلة، فمثلاً كأن الناس جميعاً على مستوى أسرهم يلتقون ويتبادلون أطراف الحديث بما يكفي يوم العيد بعد زيارة الأقارب والأرحام وعيادة المرضى، ومن في حكمه واليوم الثاني استقبال ضيوف والذهاب إلى الأماكن البعيدة إذا كانت لأحدهم أقرباء وأرحام ثم رحلات وما إلى ذلك حسب قدرة كل شخص في ظلها يتلمس واقع المحتاجين ويعطف عليهم.. أما اليوم فإن سألت امرأة عن أولوياتهم فتقول: أريد أعمل عزومة للنساء يوم كذا، ويوم كذا سأكون عند فلانة، وبعدها عند فلانة، والمطلوب في كل اجتماع كهذا قات ومداعة يسبقة وجبة حلويات وكيك وكعك ومشروبات وفواكه وطبعاً لا تجرؤ امرأة على عزومة مالم تكن بمستوى غيرها من حيث الأثاث المنزلي والمائدة والقات، ولهذا قبل العيد تتجه النساء للاقتراض من مؤسسات مانحة محلية لتوفير المبالغ لهذه المناسبات التي تكثر في العيد، والتي تبدو وكأنها لائم تثير تساؤلات عن النزعة الاستهلاكية التي تتجذر في مجتمعنا وترهق الأسرة وتكون على حساب كثير من متطلباتها، لاسيما الأطفال الذين يقادون إلى الحدائق العامة أو الشوارع، وهو ما يعكس حقاً أننا نعاني قصور الوعي تجاه أهمية وإبعاد المناسبات الدينية وما ينبغي أن نعمله فيها، وما يجب أن يخضع لتقييم ومراجعة.

العيد تواصل حميم

بعض الأكاديميين في علم الاجتماع

وعلم النفس يرون أن هناك جانب وميض في حياة المجتمع يغطيه غبار النسيان بفعل سرعة إيقاعات زحف قيم العصر وعاداته العابرة لحدود العلاقات الاجتماعية التي يجب أن توضع تحت مجهر العيد لترميم ما خُدش منها، و..... ما اعتراه البرد وانعاش ما أصابه الفتور، ومد جسر الترابط والعطف ليصل إلى حيث ينبغي أن يصل دون أن يحرم الإنسان القادر نفسه من إشباع حاجاته في العيد، وغيره ويرى هؤلاء أن هناك صيغ للتعامل مع الأشياء من خلال القشور والمظاهر الفضفاضة على حساب الجوهر وهو ما يرفع مستوى الانفاق في العيد إلى حد تبدو معه الرغبات والمطالب وكأنها مرضية لدى البعض، ويؤدي ذلك شعور الفقراء بأن الحواجز بينهم وبين سواهم ترتفع أكثر فأكثر، الأمر الذي إذا لمس على نطاق واسع يسبب كراهية الفقراء للأغنياء ويضعف الروابط بين أبناء الفئة والمستوى الواحد عندما تصبح فرص تصادم الأفكار والرغبات في اللقاءات العيدية والاجتماعات الأسرية هو الغالب وعلى حساب ما ينبغي أن يكون محور هذه اللقاءات كونها تجسد الأصل في العيد، وهو التواد والتراحم والتواصل الحميم والحديث فيما هو خير وسبيل للسلام الأسري والاجتماعي.

استجمام في فضاءات الروح..

الحمامات البخارية في صنعاء القديمة

صنعاء / سبأ:
استطلاع / أحمد المنصور

تعد الحمامات البخارية عامة أحد الطقوس الاجتماعية في الكثير من البلدان العربية والاسلامية ، لكن وجودها في اليمن لم يرتبط بعناصر السعي وراء تحقيق الراحة الجسدية فحسب، بل أن العودة إليها في المناسبات الاجتماعية والاعياد جاء تلبية لحاجات روحية وروحانية وتجسيد لواجب ديني مقدس.

وفيما اكتشف علماء تنقيب آثاراً لحمامات يعود تاريخها إلى ٦ آلاف سنة منها ماهو في بلاد ما بين النهرين ، وكذلك في مصر ،واليونان والرومان ممن يعتقدون بأن الآلهة تستخدم البخار للمحافظة على شبابها، وكان الجنرال الروماني "اغريبا" أول من ادخل الحمامات العامة إلى روما، وفي عهد الامبراطور قسطنطين بني في روما نحو /٨٥٠/ حماماً عاماً.. فان النقوش التاريخية تشير إلى ان الحضارة اليمنية السبئية القديمة عرفت الحمامات منذ وقت مبكر في حين يرى الاخباريون ان الحمامات انتشرت بشكل ملحوظ في العهد العثماني الاول.

والحمام من أهم الفضاءات المعمارية في المدينة العربية الإسلامية، كونه يؤدي دوراً وظيفياً في خدمة المسلم، من حيث نظافته وطهارته، تمهيداً لأداء واجب ديني مهم يأخذ طابع القداسة، وهو فرض الصلاة الذي فرض على كل مسلم ومسلمة في المدينة الإسلامية.

وقد ارتأى المعمار الإسلامي أن تبنى الحمامات البخارية مجاورة للمساجد، وعمد المعمار الإسلامي إلى إضفاء طابع الأبهة والفخامة على الحمامات، إذ أنشئت لهذه المرافق واجهات ضخمة وزخارف فخمة، واستخدمت فيها أحدث أساليب الإنشاء، وأدق الحيل الفنية المعروفة. إلا أنه من الملاحظ أن الأساليب المعمارية في إنشاء الحمامات الإسلامية ليست إسلامية صرفاً، فهذه الحمامات مثلها مثل المنشآت العمرانية الإسلامية الأخرى، كالقصور والمنازل الكثيرة وقباب المساجد، متأثرة بالأساليب المعمارية للحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية، وتزامنت معها في أن. فالحمام الإسلامي وإن كان مؤسسة اجتماعية صحية إسلامية بالدرجة الأولى، إلا أنه من حيث البناء والتقليد متأثر بالحمام الروماني السابق له.

الحمامات البخارية في صنعاء القديمة

في مدينة صنعاء القديمة تعتبر الحمامات إرثاً تركياً رغم اكتشاف آثار قديمة لبقايا حمام بخاري في العاصمة السبأية التاريخية مأرب يعود تاريخها للألف الأول قبل الميلاد حسب المؤرخين. ويمكن اعتبار الحمام مظهراً حضارياً من مظاهر الحياة في المدينة الإسلامية.

وتحتوي صنعاء القديمة داخل سورها الأثري الكثير من الحمامات البخارية التي بنيت في العصر العثماني الأول وما تلاه، منها: حمام ياسر، والذي يعد أقدمها وحمام الميدان وحمام السوق وحمام الحميدي وحمام الطواشي وحمام سبأ وحمامشكر وحمام الجلا وحمام السلطان وحمام المتوكل وحمام البونية وحمام القاعوحمام علي وحمام الأبهر، وهذه الحمامات القديمة والمشهورة غير الحمامات البخاريةالموجودة داخل بيوت وقصور أغنياء صنعاء.

ويشير المهندس المعماري عبد الغني الشرفي حرص المعماريون الإسلاميون على أن تكون الحمامات فضاء جمالي تستريح إليه نفس من يدخله، إذ جعلوها كثيرةالأضواء، ومرتفعة السقوف، عذبة المياه، طيبة الرائحة، لأن أبخرة الحمامات رديئة وكثيرة، ومن مهمة هذه السقوف المرتفعة أن تعين على تخفيف حر أبخرتها.

وعلى مستوى التخطيط المعماري الداخلي للحمامات في مدينة صنعاء القديمة يضيف المهندس حسين الحجازي أنه يتألف من ثلاث حجرات: باردة ودافئة وساخنة، فالباردة تطل على الفناء الخارجي، والدافئة تتوسط بين الباردة والساخنة، وماؤها أقل حرارة من الساخنة، أما الساخنة فهي التي يتم الاستحمام بها، وتعلوها قبة قليلة الارتفاع مثقوبة بعدة ثقوب، يكسوها زجاج ملون، من مهمته أن يضفي عليالحجرة جواً جمالياً مشعاً، لأن أشعة الشمس تنفذ منه، وتشع في الحجرة عاكسة ألوان الزجاج المختلفة، وكأن الماء الساخن يجري من القدور الساخنة إلى أحواض المياه الموجودة في الحجرة.

وتحتوي الحجرة الدافئة في بعض الحمامات على حوضين مائيين، أما الساخنة ففيهاأربعة أحواض وجرن، ومغطس مفروش بالرخام.

ويضيف أحد العاملين في أجمل حمامات صنعاء القديمة تحفة حمام الميدان أن الوظيفة الرئيسية للقباب المثقوبة بفتحات صغيرة تتمثل في توسيع مجال التنفس وتجديد الهواءالضروري، ومنح الحمام بعض الإضاءة.

سونا وحمامات بخارية

كانت الحمامات العامة طريقة مميزة في الحياة لدى بعض الثقافات، غير أن السونافلندية غيرت كل ذلك، إذ أثبتت أنها أقل كلفة وأسهل تجهيزاً وصيانة منحمامات البخار. ولم تكن النوادي الرياضية أو الفنادق بحاجة إلى تغييرات كبيرةلاقتناء عرفة سونا صغيرة واقتصادية.

يقول محمد الحرازي عامل سونا: إن الحرارة المرتفعة هي الفارق الرئيسي بينالسونا وغرفة البخار التقليدية. فالسونا حارة وجافة، فالبخار الرطب وكأنه غيمة من الضباب الساخن، ولدى تشغيل السونا بشكل جيد، لا تزداد درجة الرطوبة في الغرفة فوق نسبة العشرة بالمئة.

يقول الدكتور حسين المنصورطبيب بمستشفى التضامن: لكل من السونا وحمام البخار مزاته الخاصة، علماً أن كليهما يتمتعان بالتأثيرات نفسها على الجسم، إذ يتدفقالدم إلى سطح الجلد حاملاً الأوكسجين القوي والمواد المغذية، وتتفتح مساماتالجلد، ويبدأ الجسم بالتعرق ساعياً لتبريد حرارته، ويضيف: إن زيادة حرارةالجسم في صدفته الخارجية يؤدي إلى استرخاء العضلات، ويساعد على إزالة الموادالسامة من الجلد.

غير أن أوجه التشابه بين السونا وحمام البخار تنتهي عند هذه النقطة.

فالسونا كما يشير الدكتور أحمد الأهدل طبيب بمستشفى التضامن أشد حرارة بكثير من البخار.ولأن الهواء موصل سيء للحرارة، فأن حرارته تصل في غرفة السونا إلى /٢٠٠/درجة فهرنهايت وأكثر حتى من درجة الغليان. ولكن في حمام البخار فأن مثل هذهالدرجة تؤدي إلى سلق المستحم، ولا يمكن أن تحدث.

الأخ أحمد الجرموزي رجل أعمال يصف السونا بقوله إن من يذهب إلى حمام سون افنلندي أصلي سيجد داخله مرتباً حسب رفوف فرن منزلي، ويكون الرف السفلي للذين يودون أن يخبزوا على نار باردة نسبياً والرف الأعلى للذين يفضلون الحرارات المرتفعة، وهناك أخيراًرف ما بين الاثنين.

ويضيف إن مدة بقائك في غرفة السونا تتباين وفق طاقتك وتجربتك، وتتراوح مابين ثلاث إلى خمس دقائق للمبتدئين وتصل حتى /١٥/ دقيقة للذين اعتادوها، وعليأي حال، لا يتعين عليك ترك الغرفة قبل أن يبدأ العرق بالتصبب منك. حينهاتخرج لتأخذ حماماً برشاش من الماء البارد مستعيناً بليفة لفرك جسمك. وتعودبعدها ثانية إلى حجرة السونا لتخرج منها وتغطس مباشرة في بركة مياه باردةأو بالأحرى شبه مثلجة. وينصح الذين لم يتعودوا السونا من صغرهم أن يتفادوا الدش والبركة الباردتين والأفضل أن يستخدما المياه الفاترة.

عالمية الظاهرة

وعلى عكس السونا، تأتي حمامات البخار وفق أشكال مختلفة، تبعاً لأصولها وانتماءاتها القومية. حيث يحدثنا الاخ/ أحمد السعدي فلسطيني الأصل أنه أصبح من النادروجود الحمام التركي المعروف إلا في عدد بسيط من الدول العربية وفي أسطنبول تجد حماماً تركياً يعيد أمام ناظريك مشاهد العظمة الغابرة من خلال أعمدتهالفخمة وجدرانه المزخرفة، حيث يحيط بك الضباب فيها من كل جانب، وتسمع نقاطالماء التي تتساقط من السقف الرطب.

وتوجد في بعض العواصم العربية حمامات مجهزة على الأسلوب التركي، لعل أهمهاعلى الإطلاق الحمامات البخارية في العاصمة السورية دمشق.

كما أن هناك بعض الحمامات العربية أو التركية كما يغلب تسميتها في عدة عواصم أوربية، ومنها باريس، ولكن حسب قول الأخ/ جميل الصعوطي رجل أعمال من الأفضل أن تستعلم عنها جيداً قبل زيارتها، فقد تكون مكاناً لأسباب أخرى.

أما الحمام الياباني حسب قوله غير منتشر كثيراً في اليابان، فهو يبدأ بالانتقاع في الماء الساخن ثم الحف بالصابون، وينتهي بالتدليك والاغتسال بالماء الساخن.وهناك أيضاً الحمام الروسي الذي انتشر هناك في أوئل القرن العشرين، وهو مكون من غرفتين الأولى ساخنة كحجرة السونا ويوجد في الثانية عامل يضع الصابونعلى جسم الزبون ويدلكه.

وفي المقابل ترى الحمام الأمريكي كما أوضح الأخ أحمد الجرموزي أقل تفنناً وأكثر سلبية فهو كالسونا مجهز بمستويات عدة. وعند دخولك لا تجد سبيلاً لقضاء الوقت سوى الكلام والتسكع. إلا أن هذه في الواقع وسيلة لذيذة لتمضية أوقات الفراغ، إذ أنك لا تفعل شيئاً بينما تعتقد بأنك تفعل.

يؤكد الدكتور حسين المنصور أن الحرارة الرطبة أفضل من الحرارة الجافة للعضلات التعبة حيث يسترخي الناس أكثر في محيط رطب. فالمفاصل والعضلات التعبة تستجيب بشكل أفضل للبخار، لأنه موصل جيد للحرارة. أما الحرارة الجافة (السونا) فأنها تسيء إلى العضلات التعبة.

ويضيف الدكتور أمجد الشامي طبيب بالمستشفى الجمهوري إن حرارة البخار الرطبة مؤاتية بشكل خاص لذوي الجهاز التنفسي الحساس، إذ يسهل التنفس فيها على عكس حرارة السونا الجافة. ويتمتع البخار بأنه رطب جيد للشعر والجلد.

أما الدكتور إبراهيم دوم طبيب بمستشفى النور التخصصي بالحديدة فيؤكد على الذين يمارسون السونا استعمال المستحضرات المرطبة للجلد والشعر لمعالجة الآثار السلبية التي يخلفها المحيط الجاف.

ويضيف أن البخار أقل خطراً من السونا، أو أن التغير المفاجئ في حرارة الجسمفي السونا، قد يشكل نوعاً من الخطر، فالغطسة الباردة قد تصدم جهازنا العصبي،ولا يعرف المرء ما ستكون عليه ردة فعل جسمه. وهذا أمر غير صحي، وينصح بالانتقال التدريجي في سلم الحرارة.

محاذير دخول الحمام البخاري والسونا

ويقول الدكتور إبراهيم دوم في الواقع ثمة تحذيرات تصلح لكل من حمامي البخار والسونا إذ يمنع العديدون من ممارستها كالمصابين بأمراض القلب أو بارتفاع ضغط الدم أو السكري.

كما ينصح بعدم دخول الحمام الساخنة مباشرة بعد الأكل إذ أن انتقال الدم بعيداً عن الأعضاء الداخلية باتجاه الجلد، قد يؤثر عليعملية الهضم. ويجب أيضاً عدم دخول الحمام الساخن بعد فترة من التمرين الرياضي، ومن الأفضل أن تبرد جسمك لمدة نصف ساعة تقريباً.

فالحرارة الإضافية قد تكون مزعجة للقلب. ومن المعروف أيضاً أن شرب الكحول ممنوع في الحمامات الساخنة.

وينوه الدكتور حسين المنصور إلى أن فقدان المياه في الجسم خلال الحمام الساخن يبلغ ربع ليتر في الساعة، ولذلك يتعين على المستحمين شرب الكثير من الماءقبل الدخول إلى حمام البخار.

وينصح بتناول عصير الطماطم والبرتقال والموز،إذ أن الجسم يخسر خلال فقدانه الماء بعضاً من البوتاسيوم ، كما ينصح المستحمبتغطية وجهه بمنشفة رطبة لدى دخوله السونا، فالجفاف يلحق الضرر ببشرة الوجه.

الحمامات العامة البخارية بين التحليل والتحريم

وعلى الرغم من مهاجمة الفقهاء الإسلاميين المتشددين للحمام واعتباره فضاءًهاتكًا للأسرار ومفسداً لأخلاق النساء وكاشفاً للعورات فإنه يبقى في رأي بعض المؤرخين والباحثين فضاء لا غنى عنه في حياة المدينة الإسلامية، فهومن أهم اللذات الأربع في حياة المسلم قديماً.

وقد سجلت بعض الأدبيات الإسلامية ما قيل في الحمامات من أوصاف وأشعار، نقتطف منها ما يأتي:" قيل للفضل الرقاشي صف الحمام. فقال: نعمَ البيت الحمام، يذهب القشاف، ويعقب النظافة، ويهضم الطعام، ويجلب المنام، وينفي الغضب، ويقضي الإرب".

ويرى الكثير من العلماء تحريم الحمام على النساء واستكراهه للرجال، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخلن الحمام إلا بمئزر. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرفلا يدخلن حليلته الحمام...."،أما الفضل الرقاشي، بعد أن كان قد مدح الحمام ، كما أشير سابقاً، عاد وعده هتكاً للأسرار، وحارقاً كالنار، حين ذمه قائلاً:" بئس البيت الحمام، يهتك الأستار، ويؤلف الأقذار، ويحرق كالنار".

رئيسة مؤسسة الرحمة :

تجربتنا تستهدف إيجاد الأم البديلة ومواجهة اليتم والتشرد

صنعاء / سبأ/ أبوبكر عبدالله

بعد سنوات قضتها متنقلة بين منازل الاهل والاقارب وجدت طفلة يتيمة أما بديلة في احدى دور الرعاية بالعاصمة. تلك الطفلة واحدة من بين عدد من اليتيمات اللاتي حالفهن الحظ بالوصول إلى مؤسسة الرحمة للتنمية الإنسانية لتجد هناك برنامجا رائدا في رعاية اليتيمات، وفر لها أما بديلة وأسرة وسكنا ورعاية تعليمية وصحية وهي لذلك تبدو اليوم بمعنويات مرتفعة وتحقق علامات جيدة بالمدرسة وتطمح لأن تكون معلمة.

ومؤسسة الرحمة للتنمية الانسانية مشروع مطور لدار إيواء اليتيمات ودار الفرسان لإيواء ورعاية الأيتام، وقد قدمت خلال تجربتها على مدى عامين نموذجا لمشروع إنساني رائد في رعاية الأيتام المشردين سعيا للمساهمة في مواجهة مشكلة اليتم والتشرد خاصة في أوساط الفتيات اللاتي يصفن بكونهن الأكثرعرضه للضياع والانحراف بسبب الفقر وغياب الأسرة.

وفي المقر الرئيسي للمؤسسة المكون من أربعة مبان مؤثثة ومجهزة بشقق إيواء ومعامل تدريب وتاهيل يلمح الزائر نظاما اسريا آمنا فالأمهات البديلات يعشن جنبا إلى جنب مع الأطفال في هذه الدار التي تحضن يتيمات وأيتام من كل المحافظات ومن مختلف الأعمار.

"سبأ" زارت المؤسسة والتقت رئيسة مجلس إدارتها رقية الحجري وأجرت معها الحوار التالي.

سبأ: ترأسون مؤسسة للتنمية الإنسانية ماهي نشاطات هذه المؤسسة وما الخدمات التي تقدمها والشرائح المستفيدة منها ؟

الحجري: مؤسسة الرحمة للخدمات الإنسانية وإيواء اليتيمات تأسست كدار في أكتوبر عام ٢٠٠٠م بغرض احتضان اليتيمات المشردات وتوفير المأوى الآمن والاحتياجات الأساسية وتقديم الرعاية لهن وتحقيق اندماجهن في المجتمع ثم تحولت إلي مؤسسة في عام ٢٠٠٣م.

ومن ضمن الأهداف الأساسية للمؤسسة دمج الفتيات والفتيان الأيتام في المجتمع المدني وتوفير المأوى الآمن والتعليم والتدريب المهني والرعاية الصحية وتنمية مهارات اليتيمات وقدراتهن وتطويرها وفق خطط المؤسسة وتقديم الخدمات والكفالات للأيتام غير الملتحقين بها والمساهمة في التصدي لظاهرة التشرد والانحراف الناتجة عن اليتم والسعي لتطبيق الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان في كافة المجالات.

سبأ:كيف تتم اجراءات كفالة اليتيم في المؤسسة وماذا عن نظام الأم البديلة المنفذ حاليا؟

الحجري:الكفالة تكون للذين فقدوا الأب والأم والعائلة الكفء ويعانون الفقر المادي وغياب العائل وهؤلاء تقوم المؤسسة بكفالتهم كفالة تامة في قسم الإيواء (السكن الداخلي).

وهناك الأيتام الذين فقدوا آباءهم ومازالوا يحظون برعاية أم كفؤه إلا أنها تعاني من الفقر وهؤلاء تمنح لهم المؤسسة كفالة لدى أمهاتهم وتقوم المؤسسة بمتابعتهم من الناحية التربوية والتعليمية والتأهيلية.

أما نظام الأسرة البديلة فهذا النوع ينطبق على الكفالة للأطفال الرضع الذين تستقبلهم المؤسسة في الأشهر الأولى من أعمارهم وهم مجهولو الأبوين ولا يوجد لهم أي عائل أو كفيل وهذا النوع من الكفالات هو المتجه إليه عالميا وتسعى المؤسسة الخوض في مثل هذه التجربة الفريدة وذلك حسب شروط منها أن لا ينسب الطفل إلى الأسرة الكافلة وأن يعرف الطفل منذ نشأته المبكرة أن الأب والأم اللذان يحظى برعايتهما ليسا أبوية الحقيقيين.

وفي هذا النظام تسلم المؤسسة الطفل الرضيع للأسرة الراغبة بكفالته على أن يلتزم الشخص الكافل للطفل بالحضور إلى المؤسسة مع صورة له وذلك كل ستة أشهر. ويحق للمؤسسة متابعة الطفل بالطريقةالتي تراها وفي الوقت المناسب لها ولا يحق للأسرة الاعتراض.

وفي حال وجود خلل في التربية فيحق للمؤسسة سحب الطفل من هذه الأسرة ووضعه لدى أسرة أفضل.

سبأ:هل من إحصائيات بشأن عدد المستفيدين منذ افتتاح المؤسسة وحتى الآن؟

الحجري: بالساكنون في المؤسسة من الأولاد الصغار ٤٨ طفلا و٧٥ من البنات الملتحقات والموظفين، وهناك أيضا٦٠٠ أسرة فيها أيتام وتتعهد المؤسسة برعايتهم خارج المؤسسة.

سبأ: ماذا عن أعمال الرعاية التي تتبناها المؤسسة للأيتام في المنازل؟

الحجري: هناك من الأيتام الذين فقدوا آباءهم ومازالوا يحظون برعاية أم قد تكون تعاني من الفقر.. وهؤلاء تمنح لهم المؤسسة كفالة لدى أمهاتهم وتقوم المؤسسة بمتابعتهم من الناحية التربوية والتعليمية والتأهيلية وعدد المستفيدين في هذا النظام يصل إلى حوالي ١٨٠يتيمة ويتيم.

سبأ: كيف تتم إجراءات كفالة اليتيم؟

الحجري: هناك العديد من الإجراءات التي تتخذ منها أخذ البيانات الأولية للحالة وإثبات للهوية من شهادة ميلاد وشهادة صحية وشهادة مدرسية ثم إثبات حالة الأب بشهادة وفاة أو تصريح دفن أو حكم نهائي بالإعدام أو حكم انحصار الورثة أو فقدان أو جنون أو مرض موت بأوراق سليمة صادرة من جهات رسمية موثوقه.

ويتم بعد ذلك عمل دراسة ميدانية للحالة الأسرية لمعرفة مدى استحقاق الحالة للالتحاق بالسكن الداخلي بالنزول إلى محل الإقامة والتقصي عن حالة الأسرة من الجيران وأعيان الحارة.

وبعد استكمال البيانات الأولية يتم تحرير محضر استلام رسمي من قبل ولي الأمر المباشر لدى قسم الشرطة والتوقيع على تنازل للولاية للمؤسسة ثم التوثيق بتصوير الحالة فور استلامها لإثبات وضعها عند الالتحاق وتلحق الحالة بالسكن الداخلي حسب الطاقة الاستيعابية للشقة مع مراعاة جمع الأ